

الخصائص

وإذا كان كذلك فما كان من احسن ضروراتهم فليكن من أحسن ضروراتنا وما كان من اقبحها عندهم فليكن من اقبحها عندنا وما بين ذلك بين ذلك .

فإن قيل هلا لم يجر لنا متابعتهم على الضرورة من حيث كان القوم لا يتربسون في عمل أشعارهم ترسل المولدين ولا يتأنون فيه ولا يتلوسون على دونه وعمله وإنما كان أكثره ارتجالا قصيدا كان او رجزا أو رملا فضرورتهم إذا أقوى من ضرورة المحدثين فعلى هذا ينبغي ان يكون عذرهم فيه أوسع وعذر المولدين أضيق .

قيل يسقط هذا من أوجه أحدها أنه ليس جميع الشعر القديم مرتجلا بل قد كان يعرض لهم فيه من الصبر عليه والملاطفة له والتلوسم على رياضته وإحكام صنعته نحو مما يعرض لكثير من المولدين ألا ترى إلى ما يروى عن زهير من أنه عمل سبع قصائد في سبع سنين فكانت تسمى حوليات زهير لأنه كان يحوك القصيدة في سنة والحكاية في ذلك عن ابن أبي حفصة أنه قال كنت أعمل القصيدة في أربعة اشهر وأحكها في أربعة أشهر وأعرضها في أربعة أشهر ثم أخرج بها إلى الناس